



University of Zawia - Rewaq Alhkma Journal (UZRHJ)
Volume 8, Issue 2, (2024), pp.473-484, ISSN:3079-0581



The Spiritual Life of the Companions: Uthman ibn Affan and Ali ibn Abi Talib as Models

Hajar Imran

Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Zawia
Zawia - Libya

EMAIL: Hajar.Imran.ly@gmail.com

Received:01 /06/2024 / Accepted:15/07/2024 Available online:31/12/2024.DOI:10.26629/UZRHJ .2024.29

ABSTRACT:

The philosophy of the spiritual life of the Companions, May God be pleased with them, is based on asceticism in this world and adherence to the Qur'an and the noble Sunnah of the Prophet, as their lives were represented by good treatment with others and the upright moral behavior that prevailed in Islamic society. Therefore, their application of divine commands and their imitation of the Sunnah of the Messenger, may God bless him and grant him peace, made them walk. According to a balanced life philosophy that contributed to creating positive treatment with the poor, it made them feel satisfied in their lives. It instilled a moral behavior and philosophy that focused on staying away from material phenomena, being satisfied with a few worldly pleasures, and applying the Islamic approach in moderation.

This research aims to point out the philosophy of spiritual life among some of the Companions, and the divine behavior that characterized it. We have concluded that the philosophy of spiritual life among the Companions was characterized by the unity of approach and behavior, as they made this world their last concern, and that their philosophy was moderate, represented by the politeness of the Companions and following the morals of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, because it is the path that leads the egoist to the highest life.

Keywords:

Philosophy of life - Othman bin Affan - Ali bin Abi Talib - Spiritual life.



فلسفة الحياة الروحية عند الصحابة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (نموذجاً)

هاجر عمران

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الزاوية

الزاوية - ليبيا

Email: Hajar.Imran.ly@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/31م

تاريخ القبول: 2024/07/15م

تاريخ الاستلام: 2024/06/01م

ملخص:

تقوم فلسفة الحياة الروحية للصحابة رضى الله عنهم على الزهد في الدنيا التمسك بالقرآن والسنة النبوية الشريفة، حيث كانت حياتهم متمثلة في المعاملة الحسنة مع الآخر، والسوك الأخلاقي القويم الذي ساد في المجتمع الإسلامي، لذلك فإن تطبيقهم للأوامر الإلهية واقتدائهم بسنة الرسول صل الله عليه وسلم، جعلتهم يسيرون وفق فلسفة حياتية متوازنة ساهمت في خلق معاملة ايجابية مع الفقراء، جعلتهم يشعرون بالرضا في حياتهم، وغرست سلوك أخلاقي وفلسفة تركزت على الابتعاد عن الظواهر المادية، والرضا بالقليل من متاع الدنيا، وتطبيق المنهج الإسلامي باعتدال.

يهدف هذا البحث إلى الإشارة إلى فلسفة الحياة الروحية عند بعض الصحابة، وما تميزت به من سلوك رباني، وقد توصلنا إلى أن فلسفة الحياة الروحية عند الصحابة تميزت بوحدة المنهج والسلوك، حيث جعلوا من الدنيا آخر همهم، وأن فلسفتهم وسطية تمثلت في تأدب الصحابة والسير على أخلاق رسول الله صل الله عليه وسلم لأنها هي الطريق الذي يقود الإنسان إلى الحياة الأسمى.

كلمات مفتاحية:

فلسفة الحياة - عثمان بن عفان - علي بن أبي طالب - الحياة الروحية .

مقدمة:

كانت الحياة الروحية للصحابة الكرام حياة فقر وصبر ورضا وخوف، وهم من رسموا الحياة الطيبة للمسلم في دينه ودينه فربطوا ما بين الحياة الدنيوية والأخروية بنظام استقوه من وحي الله تعالى قرآناً وسنة.

فلسفة حياتهم الروحية تلك وما حوته من أخلاق، كالصبر، والفقر، والرضا كانت سلوكاً وتطبيقاً على منهج الإسلام مقتدين بالرسول ﷺ في كل كبيرة وصغيرة على قدر الاستطاعة وفي حدود طاقتهم، فكانوا في مجتمعٍ مزيجٍ من السادة والعبيد من الأغنياء والفقراء والله حبيب الفقر والصبر والرضا لعباده الفقراء وغرس في قلوبهم تفضيل كل ذلك عن كنوز الدنيا وحطامها الزائل، حيث يقول الله سبحانه تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: الآية 273] فكانت حياة هؤلاء حياة فقر، وعفة، فعودوا النفس على القليل من متاع الحياة الدنيوية الذي أحله الله عز وجل مقابل رضا الله ومحبته والثواب الكبير الذي أعده الله لأهل هذه الطريق فسَموا عن كل ماديّات الدنيا وأدراؤها فكانت حياتهم سلوكاً تطبيقياً لمنهج الإسلام باعتدال من غير إفراط ولا تفريط.

فالهدف من هذا البحث إشارة إلى تلك فلسفة الحياة الروحية النموذج وما اتسمت به من سلوك ومنهج. على نهج كتاب الله وسنته ﷺ.

كما يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال التالي: لما لا تكون فلسفة حياة الصحابة رضي الله عنهم الروحية ومنهجهم المعتدل قدوة لنا وأساس في كل أخلاق ومعاملة؟ ولهذا انتهجت منهجاً وصفيّاً تحليلياً، فقامت بتقسيم البحث إلى النقاط التالية: -

أولاً-عثمان بن عفان.

عندما نتناول الحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحياته الروحية فأنا سنجد أنفسنا أمام حياة روحية عالية متمسكة بكتاب الله وسنته التي قاعدتها الأخلاق والصبر والفقر، تلك مقامات هؤلاء وأحوالهم. ولكي نتعرف عن فلسفة حياة عثمان بن عفان الروحية سنعرضها من محاور ثلاث، وهي كما يلي: -

أ- لمحة عن حياته وسيرته.

عثمان بن عفان الخليفة الثالث صحابي جليل ولقب بذو النورين (*)، وذو الهجرتين (***)، حفر بئر رومية ليشرّب منه المسلمون، وجهز جيش العسرة فقال فيه الرسول: (ما على عثمان من عمل بعد هذا)، كما قيل أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا لعثمان حين جهز جيش العسرة فقال ﷺ، اللهم أغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر وما أعلن وما أسر وأجهر (أبو الوفا التفتنا زاني، 1975، 21، 22).

استشهد عثمان ﷺ وهو يقرأ القرآن لثبات نفسه وصفاء قلبه الطيب، وروي أن عثمان هو من نزلت فيه الآية في قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾، [سورة الزمر: الآية] وسؤالنا ما هي أهم المعالم الروحية لحياة عثمان بن عفان ﷺ تلك الحياة الإيمانية العالية وبأي شيء اتسمت؟

ب- فخر عثمان بن عفان ﷺ رغم غناه، أخلاق وروحانية.

2- روي أن عثمان بن عفان ﷺ أن عبد الملك بن شداد قال: (رأيت عثمان بن عفان ﷺ يوم الجمعة على المنبر وعليه إزار غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة)، وعن الحسن، وقد سئل عن القائلين في المسجد - أي الذين يقضون القيلولة ووقت الحر في المسجد -، فقال رأيت عثمان بن عفان يقبل في المسجد وهو يومئذ خليفة، قال: يقوم وأثر الحصى بجنبه، قال فيقال: هذا أمير المؤمنين! هذا أمير المؤمنين! وكان عثمان يطعم الناس طعام الإمارة - أي من طعام الأمراء - ويدخل بيته فيأكل الخبز والزبيب ووصفه أحدهم فقال عنه: "كان بالمال إلى رضا الله متوصلاً، وببذله لعباده متنفلاً، ولحظ نفسه منه متقللاً، وفي لباسه وطعامه متعللاً" (الأصفهاني، 1975، 60).

تلك هي الروحانية العالية وتلك هي التحلية بالصفات الطيبة لم تكن هذه الأخلاق الطيبة إلا بتأدب الصحابة وتأسيسهم بأخلاق نبيهم الكريم محمد ﷺ، فرغم غنى عثمان فهو يرغب الفقر عن الغنى رافضاً للدنيا مقبلاً عن الآخرة بكل ثقل للروح والنفس لماذا؟ لأنها عرض زائل لقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، [سورة الكهف: الآية 49]، فعثمان بن عفان: "هو من جمع الله ومنع الله وأعطى الله، وأنفق الله" (الطوسي، 1970، 182).

يتضح أن عثمان رضي الله عنه زهد في المال وما جمعه لأجل خدمة الإسلام والمسلمين وهذا ما يؤكد ما روي عنه قوله: "لولا خشيت أن يكون في الإسلام ثلمه أسدها بهذا المال ما جمعت" (الطوسي، 178).

مما سبق عرضه يتبين أن الروحانية العالية تكمن في فقر عثمان بن عفان رضي الله عنه رغم غناه كيف ذلك؟ لأن الدنيا بحذاقها إن كانت لا تساوي جناح بعوضة عند الله، فكيف عند عثمان، فوجود المال من عدمه سواء عنده، فرغم غناه لم يشغله غناه عن ربه سبحانه وتعالى، فهو مستغنى عن المال، غنى بربه ذلك هو الغنى المقصود، وهذا يدل على قمة الروحانية والتعالي بالله، فهو غنى بالله فقير بماله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 95 [ولقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النحل، الآية: 96، فالفقر خلق لصاحبه متى ما أدرك الغنى الفعلي، فحب عثمان لربه شغله عما عداه من نعيم أرضى. وغيره كثير كسليمان رضى الله عنه وعبد الرحمن بن عوف. وكم من فقير لم يشغله فقره ولم يصرفه عن حب الله والأنس به! فأن المحب للشيء مشغول به (المقدسي، 1991، 323).

ج- إشارة إلى صبر عثمان بن عفان.

قبل أن نشير لمقام الصبر عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ومدى عظمته فقد ذكره الله تعالى في القرآن في نحو من تسعين موضعاً، وأضاف إليه أكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية: 24] وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: 96] فالمؤمن ينظر بنور قلبه فليس بغريب أن ينظر هذا الصحابي الجليل رضى الله عنه بنور قلبه فهو الذي صبر لحكم الله ورضا بتقدير الله، قال عثمان بن عفان رضى الله عنه: "إن المرء إذا صفا قلبه صار ينظر بنور الله فلا يقع بصره على كدر أو صاف إلا عرفه" (النبهاني، 1449، 150).

فهذا تصديقاً للحديث القدسي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيزه" (البخاري، 6502).

فالرسول الكريم بشره بالجنة على بلوى يصاب بها فيصبر عليها وقد الهمة الله ذلك الشيء، لقوله صل الله عليه وسلم: "أَفْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ صَبِرًا" (صحيح مسلم 2402)، ولم يأمر المسلمين بالقتال من أجله حفاظاً على وحدتهم، ولا شك أن الصبر يقضي إلى الرضا بحكم الله وتقديره وكل ذلك لا يكون إلا على أساس الحياء من الله تعالى وحده، فلا يشكوه لغيره، فعثمان بن

عفان رضي الله عنه كان شديد الحياء إذ قال فيه الرسول صل الله عليه وسلم "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة" (صحيح مسلم، 2401).

من الواضح أن الصبر يقتضي الرضا بحكم الله تعالى، لأن أكثر أخلاق الإيمان داخله في الصبر فإن لم نصبر فعلينا بالرضا، ولكل مقام ثقله ومكانته وأعدده عثمان بن عفان خير كله. فقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: "وجدت الخير كله مجموعاً في أربعة، وهي:-

أولاً- التحبب إلى الله بالنوافل.

ثانياً- الصبر على أحكام الله.

ثالثاً- الرضا بقضاء الله.

رابعاً- الحياء من نظر الله. (الطوسي، 178).

يتضح أن الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم معلق قلبه بالله. فلما نتعافل عن مقام الصبر؟، وهو أساس لكل خلق وعمل صالح لحياتنا ومجتمعنا.

ثانياً- على بن أبي طالب رضي الله عنه.

لاشك ونحن نعرض بالوصف والتحليل حياة على بن أبي طالب رضي الله عنه بأنها حياة روحية وهي السلوك والتطبيق لمنهج الإسلام المعتدل؟ أي لا إفراط ولا تفريط فالخلق الطيب والرضا بقسمة الله والصبر فيه هو بساط إسلامي نبوي وضعه الله لرسوله وصار الصحابة الكرام عليه فنعم القدوة ونعم الاقتداء.

أ- لمحة عن حياته وسيرته.

هو على بن أبي طالب أمير المؤمنين عرف باسم رباني الأمة لم يعرف بالشرك والكفر ولم يشارك قريش في أعمال الجاهلية أبداً وقد ربي في بيت النبوة وتخلق بأخلاقه الكريمة فنعم بتلك الحياة الروحية ونهل من منبعه الطيب.

فكان الإمام على رضي الله عنه يعيش حياة الفقيه العابد يجمع القرآن وكان الشيخان أبو بكر وعثمان يلجأن إليه في الفتاوى والقضايا الهامة. ولبراعته في العلم وهذا ما عرف عنه تنطوي على وجهين وجه ظاهر ووجه باطن وهذا ما يؤكد عبد الله بن مسعود بقوله: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا له ظهر وباطن، إن علياً بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن" (الأصفهاني، 71-97).

ويترك الرسول ﷺ ما يؤكد علو منزلته من ربه وحبه له فيقول: "أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" (صحيح مسلم، 2404). ويقول ﷺ لعل علي رضي الله عنه: "يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" (صحيح مسلم، 2407).

هؤلاء هم الصفوة الأبرار الذين أثنى عليهم القرآن وذكرهم لأنهم سمعوا كلام الله وأخذوا به وسمعوا الرسول ﷺ ووصاياه واقتدوا بها ، لذلك كانوا المفلحين لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، [سورة النور، الآية: 51].

فبأي المعالم الروحية اتسمت حياة علي رضي الله عنه؟

ب- إشارة عن فقر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

يقول السراج الطوسي في كتابه: (اللمع) "من لا يحوم حول الدنيا وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامه في ذلك علي بن أبي طالب" (الطوسي، 180).

فهل كان الفقر عند الإمام علي رضي الله عنه من الفضائل الروحية ومنهاجاً حياتي على نهج رسول الأمة محمد ﷺ. على الرغم من أن علي كان سيد في الدنيا وأنه في الآخرة من الصالحين، وأنه أكثر الصحابة علماً وأفضلهم حلاً وأولهم إسلاماً إلا أنه كان خشناً في ملبسه، وكان يوصي - حكام الأقاليم - على الأخذ من هذه الحياة بما قل من العيش والرفق بالرعية، وكان يوصيهم بالتقشف الذي هو طريق التنعم في الدنيا، وإذا كان في بيت المال مال أو غيره قام بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين دون أن يخص نفسه (الأصفهاني، 78)، وقيل أنه جاءه ثوبان قديم والآخر جديد فبادر وأعطى الجديد لخادمه فمبر ولبس هو القديم فكلمه الصحابة في ذلك فقال ﷺ: فمبر شاب يتطلع للحياة فالثوب الجديد هو الأنسب له، أما هو، أي علي بن أبي طالب فقد أصبح شيخاً ليس في حياته ما يستدعي الثوب الجديد، فالثوب القديم هو الأنسب له (الأصفهاني، 79).

وليس هذا وحسب فمن أقوال علي رضي الله عنه والتي اعتبرها البعض أساساً لكل طريق روحي إلى الله سبحانه وتعالى. قول نوف: "رأيت علياً بن أبي طالب خرج فنظر إلى النجوم فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق قلت بل رامق يا أمير المؤمنين. فقال: يانوف، طوبى للزاهدين الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماؤها طيباً والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً" (الأصفهاني، 62).

مما سبق عرضه يتضح أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو كغيره من صحابة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يعني فقرهم في الدنيا ، أي زهدهم فيها وغناهم بالله . فالفقر مقام أحبوه لأنه شعار الصالحين

الأخيار حتى وإن أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، فهي طريقهم الموصلة إلى حياة أبدية أسمى هي الحياة الدائمة الباقية، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، [سورة النحل، الآية: 65]. فهم من اتخذوا من الفقر والرضا والخوف سلوكاً ومنهج حميد يسمو بالروح ويعلو بالنفس فتكون قريبة من ربها.

ج- إشارة عن خوف علي رضي الله عنه وصبره ورضاه.

نحن في حاجة إلى الاهتداء بمسيرة الصابرين الصحابة الأبرار، وبخاصة إذا كنا في زمن أصحبت فيه العجلة قرينة الندم واحتضن زماننا هذا أصنافاً من الكسالى العاجزين والتي تقف طبائعهم دون مواصلة مسيرة الحياة كما يجب بالله وفيه. لو قلنا لماذا؟ لكان الجواب لأنها فرغت من المعاني الروحية التي تدفعها قدماً نحو الامتثال لأهداف الصدق وغاية الأخلاق.

فماذا عن خوف علي وصبره ورضاه رضي الله عنه؟

طلب معاوية رضي الله عنه من أحد الناس أن يصف له علياً بن أبي طالب رضي الله عنه فكان مما قاله: كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا دعوانه ويرضينا إذا سألناه، لا يطمع القوى في باطل عنده، ولا يبأس الضعيف من حق يناله يده، كان كثير اللوعة، ويأنس بالله ووحشته، وأقسم لقد رأيت ذات ليلة وقد سكنت طوارق الليل في محاربه يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرّيتي غيري، إلى تعرضت أم تشوقت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً، لا رجعة فيها فنعيمك وأجلك قصير آه قلة الزاد وطول السفر ووحشة الطريق (الاصفهاني، 62).

يتضح أن خوف علي رضي الله عنه من الدنيا، هو خوف العلماء التقاة العارفين، خوف يقتضي الهيبة والخوف لقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [سورة النور، الآية: 37]، فهو دليل على حبه لله ولرسوله، فتأثير تربية الحياة الروحية النبوية النفساني الرياني فيهم كان واضحاً وواحداً في كل صحابة رسول محمد صلى الله عليه وسلم، فليس بغريب أن يكون رد أبي ذر من الدنيا وخوفه منها يحمل تأثير الصحابة بعضهم في بعض، فضلاً على إنهم نهلوا من منهل صاف لا كدر فيه. يتضح هذا في قول-أبي ذر-: "أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس يأخذ من الزاد ما يصلحه؟ فقالوا: بلى، قال: فسفر طريق يوم القيامة أبعد مما تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم. قالوا وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظائم الأمور، صوموا يوماً شديداً حره لطول النشور، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور" (النشار، 103، 104). وقال: "اعزموا ديناكم ودعونا وربنا وديننا" وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيه" (النشار، 103، 104).

وهذا ما يؤكد علي بن أبي طالب فوصفه لخوف الصحابة رضي الله عنهم ﷺ بقوله: "والله لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعناً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله تعالى يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله عز وجل مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم .والله لكأن القوم باتوا غافلين" (المقدسي، 317).

أما عن صبره ورضاه، فالصبر ليس بالأمر الهين ولكنه شاق على النفس عسير على الصابرين، وتلك الدرجة من الصبر هي من أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين. وقد وصفه الجنيد فقال: "المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والصبر مع الله أشد" (العلي، 1980، 354).

ولعمق هذا الحال وتفرد جعله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه على عشر مقامات: "روي أن رجل سأل علي بن أبي طالب عن الإيمان، فقال يقوم الإيمان على أربع دعائم هي: الصبر، واليقين، والعدل، والجهد. ثم وصف الصبر على عشر مقامات، وكذلك اليقين والعدل والجهد كل واحد منها على عشر" (الطوسي، 180).

وقال علي رضي الله عنه في الصبر: "من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا مصيبتك" (المقدسي، 278).

يتضح أن الصبر أوله رضا، وهو قاعدة هامة من قواعد العبودية وكلما قَوَمَ الإنسان نفسه بالصبر، وعودها على العزيمة والتحمل وجدها لينة وجرى فيها الصبر مجرى الأنفاس. فالمؤمن مجاز على صبر قلما يظهره وهو ممتحن به. لقوله ﷺ: "لا يصيب المؤمن من مصيبة حتى الشوكة إلا قص من خطاياها أو كفر من خطاياها" (صحيح مسلم، 2572).

يتضح أنه ما عجز الصابرون من الصحابة على الأعمال الرفيعة التي ظلت خالدة أبداً، ولكننا عجزنا على أن نقندي بهم في أعمالنا!، وإن كان هناك سبب فهو أنه ما عدنا نملك من إرادتنا شيئاً، هم كانوا أقوىاء لأنهم ملكوا إرادتهم برعاية الصبر ومضاء العزيمة والإخلاص لله تعالى.

أما نحن اليوم فنحتاج إلى هذا التهذيب الأخلاقي الروحي الرفيع وتلك المبادئ والفضائل الصادقة، التي كاد الزمن الذي نعيش فيه يخلو منها وكادت المادة أن تسحق البقية الباقية من عالم الروح والضمير. فالصبر لا يكون إلا على محبوب أو مكروه، فأين نحن من صبر هؤلاء النخبة رضي الله عنهم وأرضاهم؟

3

مما سبق نستطيع أن نقول إن المعالم الروحية عند علي بن أبي طالب اجتمعت في أربعة خصال هي: الصمت ، والنطق، والنظر، والحركة ، فكل نطق لا يكون في ذكر الله فهو لغو، وكل صمت لا يكون في فكر فهو سهو ، وكل نظر لا يكون في عبدة فهو غفلة، وكل حركة لا تكون في تعبد الله فهي فترة ، فرحم الله عبداً جعل نطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبدة وحركته تعبداً (الطوسي، 177، 178).

تلك معالم من الحياة الروحية من فقر وصبر عند الصحابة الإجلاء رضي الله عنهم، والتي هي قمة من المثالية في عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، ومالها من فاعلية على سلوك الإنسان وحياته.

لقد أهملنا كل تلك القيم والمعاني الموصي بها. فهل لأنها لا تقدم لنا شيئاً من الدرهم والدينار! فلما لا نعود إلى الحياة الإنسانية الرفيعة وإلى كل خير وحق وجمال؟ إلى الصحابة رضي الله عنهم الذين تميزوا بواقعتهم في أعمالهم وأحوالهم، فهي بسيطة ليست بالخيال ولا بالسحر ولا بالشعوذة ، فوضوح واقعتهم وصلاحها تمثل أساس متين لكل أخلاق ومعاملة.

الخاتمة

من خلال عرضنا توصلنا إلى النتائج التالية:-

1 - إن الحياة الروحية نموذج يتسم بوحدة السلوك والمنهج، والسير على نهج كتاب الله وسنته ﷺ، لذلك جعل الصحابة من الدنيا وسيلة ولم يجعلوها غاية، فأخذوا منها قدر ما يصلح الجسد وصبروا وكان همهم وهدفهم الدار الآخرة لأنها خير دار وخير جوار.

2- إن الحياة الروحية للصحابة تميزت بالوسطية والتوازن، ووضع الأمور على مواضعها بدون إفراط ولا تفريط لا تشدد ولا تحلل، فهم وثقوا بما عند الله أكثر مما في أيديهم لإيمانهم أن ما عند الله هو الدائم أبداً.

3- إن المعالم الحياة الروحية ، لعثمان بن عفان رضي الله عنه مجموعة في التحبب إلى الله بالنوافل والصبر والرضا بتقدير الله والحياء من نظر الله وإيثار الحياة الآخروية عن الحياة الدنيوية، أي حياتهم حياة أخلاق وفضيلة، فهي طريق ومنهاج للحياة كلها وأساس لكل معاملة.

4- إن المعالم الروحية عند علي بن أبي طالب اجتمعت في أربعة خصال هي: الصمت والنطق، والنظر، والحركة، فكل نطق لا يكون في ذكر الله فهو لغو، وكل صمت لا يكون في فكر فهو سهو، وكل نظر لا يكون في عبرة فهو غفلة، وكل حركة لا تكون في تعبد الله فهي فترة، فرحم الله عبداً جعل نطقه ذكراً وسمته فكراً ونظره عبرة وحركته تعبد.

5- إن الأخلاق الطيبة لم تكن إلا من خلال تأدب الصحابة والسير على أخلاق نبيهم الكريم محمد ﷺ ، فرغم غنى عثمان فهو يرغب الفقر رافضاً للدنيا مقبلاً على الآخرة بكل عزيمة معتبراً أن الدنيا زائلة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾، [سورة الكهف: الآية 49]. ففقر عثمان بن عفان ﷺ رغم غناه. أخلاق وروحانية ، فعثمان بن عفان ﷺ ما جمع المال طمعاً في كنهه ، بل كان لأجل خدمة الإسلام والمسلمين ، وهذا ما يؤكد قوله: "لولا خشيت أن يكون في الإسلام ثلثة أسدها بهذا المال ما جمعته" (الطوسي، 177، 178).

6- أن علي بن أبي طالب ﷺ هو كغيره من صحابة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه، حيث زهدوا في الدنيا ، واعتبروا أن الفقر شعار الصالحين الأخيار، وإن الدنيا هي طريقهم الموصلة إلى حياة أبدية أسمى هي الحياة الدائمة الباقية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، [سورة النحل، الآية 65].

7- أن الصبر عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يقتضي الرضا بحكم الله تعالى ، لأن أكثر أخلاق الإيمان داخلة في الصبر ، فإن لم نصبر فعلينا بالرضا ووجد الخير في الصبر على أحكام الله.

8- إن وصف سيدنا علي رضي الله عنه الصبر على عشر مقامات، وكذلك اليقين والعدل والجهد كل واحد منها على عشر يؤكد الصبر على الشدائد والأوجاع والمصائب .

9- إن الحياة الروحية لدى كل من عثمان وعلي وكل الصحابة رضي الله عنهم هي سلوك قائماً على الفقر والخوف والصبر وحب الله تعالى، وهم من جاهدوا أنفسهم من أجل الوصول إلى قلب تقي نقي مملوء بالورع والخشية من الله تعالى، وكذلك الحصول على نفس طاهرة طيبة نقية فاضلة وعالية تتمسك بالمعالي وتترفع عن الدنيا لتقوي صلتها بالله ويزداد حبها للمولى وفي نفس الوقت الذي تنظر فيه هذه النفس إلى الحياة الدنيوية على أنها حياة فانية يجب على الفرد أن يأخذ منها القدر اليسير الذي يعينه على العبادة، ويوصله للدار الآخرة بسلام.

المصادر والمراجع

1. أبو الوفا التفتازاني(1975) الحياة الروحية في الإسلام مصر الهيئة العامة للتأليف.
2. الأصفهاني(1975) حلية الأولياء وجنات الأصفياء، ج1، مصر مطبعة السعادة .
3. الطوسي (1970) اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه سرور القاهرة، دار الكتب الحديثة .
4. المقدسي(1994) مختصر منهاج القاصدين تحقيق محمد وهبة وعلي عبد الحميد بيروت، دار الخير.
5. النبهاني: جامع كرامات الأولياء، ج1، تحقيق إبراهيم عطوه، بيروت، دار المعرفة،1449.
6. البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع .
7. صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضائل عثمان بن عفان.
8. النشار، سامي (1970) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج3، الإسكندرية..
9. العلي، عبد المنعم (1980) تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية وزارة العدل والشؤون الإسلامية.